الفصل الحادى عشر

العقاد .. شاعرًا

والشعرُ ألسنةٌ تُفضى الحياةُ بها
إلى الحياةِ بما يَطوِيه كتمانُ
لولا القريضُ لكانتْ وهى فاتِنةٌ
خرساءُ ليسَ لها بالقولِ تِبْيانُ
ما دام فى الكونِ ركنٌ للحياة يُرى
ففى صحائِفه للشَعرِ ديوانُ

عباس العقاد

العقّاد .. شاعرًا

يعدّ عباس محمود العقاد (١٨٨٩ - ١٩٦٤) علمًا من أعلام النهضة الفكرية والأدبية المعاصرة ، وشخصية (موسوعية) ، متعدّدة العطاء : فقد أسهم فى الحياة الأدبية شاعرًا وناقدا .. وفى الحياة السياسية مناضلا ومؤرخا ، وفى الحضارة العربية باحثًا ودارسًا لكثير من الشخصيات العبقرية فى الإسلام والمسيحية ، وقد امتدت إسهاماته فى الكتابة الدينية إلى كل ما يتصل بالأديان السماوية .. بل إن الشيطان نفسه كان موضوع واحد من أهم كتبه .. كما شارك فى السياسة المعاصرة .. فقد كان وفديًا متعصّبا أثناء حياة سعد زغلول ، وكان جريئا فى تمسكه بالديمقراطية مما سبب له الاعتقال والسجن والنفى .

من هنا فنحن إذْ نستحضر ذلك كله تتشعب بنا السبل ، وتتعدّد الروافد الفكرية والفنية والإنسانية التى تثيرها شخصية العقاد .. لكن الزاوية المحددة التى نريد أن نسبر غورها هى محاولة البحث عن ملامح العقاد (شاعرا) . ومما هو جدير بالذكر هنا أن المجال الأدبى : شعرا ونقدا ، كان أول ملمح ظهر به للجمهور وعالم الثقافة ، فقد عرف الناسُ العقاد أول ما عرفوه شاعرا وناقدا فى العقدين الثانى والثالث من هذا القرن .

إن العقاد كان شخصية عبقرية فى الفكر والثقافة و (عصاميا) فى النشأة والتعليم ، حيث ولد لأسرة فقيرة فى أسوان ، ولم يتجاوز تعليمه الرسمى شهادة الابتدائية .. ومع ذلك فقد ثقف نفسه ثقافة عريضة سواء فى المجال العربى أو الغربى ، حيث شملت ثقافته : الأدب والنقد والتاريخ والحضارة والدين والفلسفة والسياسة . وفى مجال الأدب يؤكد بعض الدارسين أنه قرأ منذ وقت مبكر دواوين ابن الرومى والمتنبى وأبى العلاء المعرى وابن الفارض وابن حديس الصقلى[1] . كما قرأ كثيرًا فى الشعر الجاهلى والإسلامى خاصة : جميل بن معمر وعمر بن أبى ربيعة ، ويؤكد كتابه « شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى » أنه اطلع أيضًا على شعرنا الحديث منذ عصر محمد على .

وقد امتدت ثقافته الأدبية إلى كثير من النقاد والشعراء الإنجليز سيما شعراء الرومانسية أمثال : وردز ورث - شللى - كيتس - لورد بيرون - توماس هاردى - ت . س . إليوت ، وكذلك الشاعر المسرحى الكبير وليم شكسبير .

وعلى هذا فإن العقاد حين بدأ طريقه فى الشعر والنقد كان مستوعبًا لروافد كثيرة من الثقافة القومية والعالمية . لقد كان العقاد واحدا من جماعة أدبية جديدة [تضم أسماء : خليل مطران - عبد الرحمن شكرى - إبراهيم المازنى - أحمد زكى أبو شادى وغيرهم ..] ، وهذه الجماعة كما يقول عنها العقاد نفسه .. « ليست مقلدة للأدب الإنجليزى ولكنها مستفيدة منه ، مهتدية على ضيائه ، وهى

---

(١) عبد الحى دياب : شاعرية العقاد فى ميزان النقد الحديث ط . النهضة العربية ١٩٦٩ ص ٦٤ .

على إيغالها فى قراءة الأدباء والشعراء الإنجليز،لم تنس غيرهم ممن ترجم إلى الإنجليزية من الألمان والطليان والروس والأسبان واليونان واللاتين الأقدمين .. ولعلّها استفادت من النقد الإنجليزى فوق فائدتها من الشعر وفنون الكتابة الأخرى »[٢] .

وهذه الثقافة الواسعة قد أثرت بشكل أو بآخر على شعر العقاد،الذى يمكن أن نقسّمه إلى مرحلتين :

المرحلة الأولى : أنتج فيها أربعة دواوين ، طُبعت بعد ذلك فى مجلد واحد بعنوان « ديوان العقاد » سنة ١٩٢٨ عن دار المقطم والمقتطف ، وهذا الديوان لم يطبع مرة أخرى .. وهذا ما يملأ النفس حسرة وألمًا على تراثنا الأدبى الذى نساعد نحن - بشكل أو بآخر - على ضياعه .

وهذا المجلد يضم أربعة دواوين سبق أن صدرت منفردة ، وهى على الترتيب : يقظة الصباح ١٩١٦ - وهج الظهيرة ١٩١٧ - أشباح الأصيل ١٩٢١ - أشجان الليل ١٩٢٨ .

المرحلة الثانية : أنتج فيها العقاد بالإضافة إلى ما سبق خمسة دواوين ، صدرت مؤخرًا فى مجلد واحد عن الهيئة المصرية للكتاب سنة ١٩٧٣ بعنوان « خمسة دواوين للعقاد » ، وتضم الأعمال التالية مرتبة : هدية الكروان ١٩٣٣ - عابر سبيل ١٩٣٧ - وحى الأربعين ، أعاصير مغرب ١٩٤٢ - بعد الأعاصير ١٩٥٠ .

وقد صدر مؤخرًا (١٩٥٨-) مجموعة شعرية بعنوان « ديوان من دواوين » ، وكما يوحى العنوان تضم هذه المجموعة بعض قصائد سبق نشرها فى دواوين أخرى باستثناء قلة قليلة من شعره المتأخر .

المرحلة الأولى فى شعر العقاد

الحلقة الأولى فى شاعرية العقاد تمثلها الدواوين الأربعة التى أشرنا إليها منذ قليل ، وتستوعب المرحلة من سنة ١٩١٦ - ١٩٢٨ ، وتعد مرحلة الازدهار والخصوبة فى شعره ، فقد بدأ يكتب الشعر - وهو فى الخامسة والعشرين تقريبًا - شابًا ثائرًا متحمسًا تطوف به أحلام الشباب .. وأصداء القراءة وآمال المستقبل . يقول فى مقدمة ديوانه الأول « يقظة الصباح » :

« لقد كان كلفى بالشعر أول العهد ولعًا لا أعرف سببه ، ولكننى الآن أكلف به معتقدًا أنه شاهد من شواهد نهوض الأمم ، ومرآة يتصفّح فيها الناس صور نفوسهم فى كل عصر وطور ... ثم يستطرد قائلًا : الشعر يعمّق الحياة فيجعل الساعة من العمر ساعات : عشْ ساعة مفتوح النفس لمؤثرات الكون التى يعرض عنها سواك ممتزجة طويتك بطويته الكبيرة ، تكن قد عشت ما فى وسع الإنسان أن يعيش .. »[٣] .

ولعل أهم سمة يمكن أن نتعرّف عليها من خلال شعر العقاد المبكّر هى سمة (الرفض) .. الرفض المطلق للتقليد . فقد كان العقاد - وزملاؤه من شعراء الرومانسية - يسعون سعيًا جادًا نحو

---

(٢) عباس العقاد : شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى ط . دار الهلال سنة ١٩٧٢ ص ١٥١ .

(٣) عباس العقاد : ديوان العقاد ط . المقتطف والمقطم - القاهرة - ١٩٢٨ ص ٨ ، ٩ .

التجديد ، الذى كان جوهره - فى تصورهم - البعد عما يمكن أن نسميه الأغراض التقليدية والموضوعات المألوفة ، مثل : الوصف - المدح - الرثاء - شعر المناسبات - الشعر التاريخى .

لقد كان للشعر غرض أو موضوع عند الشاعر الإحيائى ، ثم جاء الرومانسى فنقل العناية إلى (المضمون) .. المضمون الذى يدور فى إطار الذات الشاعرة غناءً أو بكاءً .. وسوف يأتى الشاعر الواقعى بعد ذلك لينقل المضمون إلى (الرؤية) .. الرؤية الرحبة للإنسان والكون .

وهذه الحفاوة بالمضمون الذاتى والتعبير الخاص نجدها مع مطلع الصفحة الأولى من الديوان الأول :

هـذا كتـابى فى يـدِ القـرّاءِ ينـزلُ فى بحـرٍ بـلا انتهـاءِ
فيـه من الحكمـةِ والغبـاء وفيـه من يـأسٍ ومن رجـاءِ
وفيـه من حـبٍّ ومن بـغضـاء وفيـه من صمتٍ ومن ضَوْضـاءِ
صورةٌ محيَّاىَ لعينِ الرائى[٤]

فى الديوان الأول « يقظة الصباح » يقدّم الشاعر مجموعة متناثرة من القصائد التى يصعب أن يضمها إهاب فنى واحد ، فبعضها قصائد مترجمة من : شعر شكسبير ومسرحه ، وشعر وليم كوبر ، وشعر بيرنز . ووضوح هذا المحور فى الديوان الأول يدل من ناحية على قوة تأثر العقاد بالشعر الإنجليزى بدرجة لم يستطع أن يتخلص منه .. ومن ناحية أخرى يدل على أن العقاد كان يكتب رغبة فى الكتابة دون أن تكون لديه (قضية) خاصة يعبّر عنها .. وهذه السمة جعلت شعر العقاد وبعض معاصريه شعرًا ضعيف التأثير ضيّق الانتشار .

وكما يعكس الديوان الأول تأثره بالشعر الإنجليزى يكشف أيضًا عن بعض معارضات لشعراء العربية أمثال : ابن الفارض والمتنبى .. وابن الرومى - الذى سوف يصدر عنه كتابًا فيما بعد - ولعل أهم هذه المعارضات معارضته لقصيدة ابن الرومى (النونيّة) ومطلعها :

أجنتْـكَ الـوردَ أغْصـانٌ وكُثْبـانُ فيهنَّ نـوْعـانِ : تُفـاحٌ ورمّـانُ

والعقاد حين يعارض ابن الرومى يطيل القصيدة - قصيدة الحب الأول ص ٣٧ - بدرجة تُوحى بانبهاره الشديد بشاعرية ابن الرومى والتلذذ بمحاكاته .. وشاعرنا يعبّر فى القصيدة عن موقفه من الشعر والحب فيقول :

إنّ ألـوذُ بشعرى حين يطرقُنى من الـطوارقِ نُـزّالٌ وضيـفـانُ
والشعرُ من نَفَسِ الرحمنُ مقْتبسٌ والشاعرُ الفذُّ عند الناسِ رحمنُ

---

(٤) ديوان العقاد ص ١٧ .

ثم يقول :

الحبُ والشعرُ ديني والحياةُ معا ... دينٌ لعمرك لا تنفيه أديانُ
هي الحياةُ جَنينُ الحبِّ من قِدمٍ ... لولا التجاذبُ ما ضمّتْك أكوانُ
والشعرُ ألسنةٌ تُفضي الحياةُ بها ... إلى الحياةِ بما يطويهِ كِتْمانُ
لولا القريضُ لكانتْ وهي فاتنةٌ ... خرساءُ ليس لها بالقولِ تِبْيانُ
ما دامَ في الكونِ ركْنٌ للحياة يُرى ... ففي صحائِفهِ للشعرِ ديوان[٥]

وخلاصة القول فيما يتصل بالديوان الأول أنه يفصح عن عدة محاور منها ما يتصل بالتعبير عن النفس، سواء أكانت نفس إنسان يتأمل الكون ، أم نفس شاعر ، ترى الشعر وحيًا مقدسًا وتعده رسالة سامية في الحياة ، « فالشعر هو المعبّر عن الحياة بل لولاه ما عرف للحياة طعم » .

ورغم هذا الوعي اليقظ بأهمية دور الشاعر ووظيفته ، إلا أن العقاد يذكر بإلحاح ما يؤكد إحساسه بالتشاؤم والحزن .. وهو في كل هذه المحاور ينطلق من (فلسفة رومانسية) في الشعر ، يؤكدها دوْما في كل ما كتب – لا في هذا الديوان فحسب ، بل في كل أجزاء ذلك المجلد تقريبا – فهو يناجي رفيق دربه في الشعر عبد الرحمن شكري (١٨٨٦ – ١٩٥٨) قائلاً[٦] :

ستغربُ شمسُ هذا العمرِ يوْمًا ... ويغمضُ ناظري ليلُ الحِمام
فهَل يَسري إلى قَبري خيالٌ ... من الدنيا بأنْباءِ الأنامِ
ويُمسي طيفُ من أهوَى سَميري ... ويُؤنِسُ وَحشتي ترجيعُ هامِ
وأحلمُ بالزَّواهرِ دائراتٍ ... وبالزَّهرِ المُنوَّرِ والغَمامِ

أما ديوان « وهج الظهيرة » فهو امتداد لنفس الأوتار الفنية التي عزف عليها شاعرنا من قبل.. سواء فيما يتصل بالتأمل أو وصف الطبيعة أو التعبير عن الحب .. والحب هنا يبدو مركز الدائرة في الديوان ويصل إلى درجة رهيفة من الذاتية والمودّة كما في قوله[٧] :

حبيبي الذي لستُ أعْني سوا ... هُ إذا فُهْتُ بالقول مُستَرسِلا
وقِبلةُ شِعْرِي التي أنتحي ... إذا أُجْمِلَ الشِّعرُ أو فُصِّلا

كما يستمر في هذه المرحلة أيضا تأمل العقاد الحزين ، وهو تأمل أقرب إلى التشاؤم المتفلسف :

ظمآنُ ظمآنُ لا صَوْبُ الغمامِ ولا ... عذبُ المُدامِ ولا الأنداءُ تَرْوِيني

---

(٥) ديوان العقاد ص ٤٣ .
(٦) ديوان العقاد ص ٩٩ .
(٧) المصدر السابق ص ١٨٧ .

حيرانُ حيرانُ لا نجمُ السَّما ولا ... معالمُ الأرضِ فى الغمّاء تهدينى
يقظانُ لا طيبُ الرقادِ يُدا ... وينى ولا سَمرُ السُّمّارِ يُلهينى
غصّانُ لا الأوجاعُ تُبْلِينى ... ولا الكوارثُ والأشجانُ تبكينى
شِعرى دُموعى وما بالشّعر من عِوَضٍ ... عن الدموعِ نفاها جَفْنُ مخزونِ[٨]

والأمر الجدير بالذكر هنا أن العقاد يقدّم لبعض قصائده بفقرات (نثرية) .. وربّما كان هذا إحساسًا غير واعٍ من الشاعر بأن شعره غير مُبِين ، فاضطر إلى أن يشرحه بكلام نثرى . وينكر محمد مندور على العقاد هذه المقدمات النثرية ، ويرى أنها « ضرورة أحوج الشاعر إليها إحساسه بقدر من الغموض فى شعره بحيث لا يفهم بغيرها »[٩] .

والجزء الثالث « أشْباحُ الأصيل » - يلاحظ ما فى عناوين الدواوين من رمز يشخص الليل والنهار - امتداد لما سبق ، ولعل أفضل ما هذا الديوان بل فى كل شعر العقاد القصيدة الطويلة « ترجمة شيطان » ، التى يقدّم لها أيضًا بمقدمة نثرية تلخّص قصة ذلك الشيطان (المتخيّل) .. وقد كتبها الشاعر - مترجمًا بعض ما كان يعتريه من الألم واليأس بعد الحرب العالمية الأولى . وقد صاغها فى شكل (الرباعية) التى تعتمد على أربعة أشطر تتفق فى القوافى الداخلية والخارجية .. وهو يبدأ القصة الشعرية على هذا النحو :[١٠]

صاغةُ الرحمنُ ذو الفضل العميمْ ... غسقَ الظلماءِ فى قاعٍ صفَرْ
ورمَى الأرضَ به رمْىَ الرجيمْ ... عبرةً فاسمعْ أعاجيبَ العِبر
خِلقةٌ شاءَ لها الله الكنودْ ... وأبى منها وفاءَ الشاكرِ
قدّر السوءَ لها قبلَ الوجودْ ... وتعالى من عليمٍ قادر
قال كُونى محنةً للأبرياءْ ... فأطاعتْ يالها من فاجِرة
ولو استطاعتْ خِلافًا للقضاءْ ... لاستحقّتْ منه لعنَ الآخِرة

وحين نصل إلى الجزء الرابع وهو « أشجان الليل » سنجد فيه شيئا ملفتا طالما شجبه العقاد وعدّه مثلبة كبيرة بالنسبة للشعر .. وهو ما يمكن أن يسمى « بشعر المناسبات » ومعظمه يتصل بسعد زغلول ورثاء محمد فريد ويوم الشهداء .. إلخ .

وتنتهى من هذا العرض السريع إلى أنّ دواوين المرحلة الأولى تعبرّ عن نفس الإطار الرومانسى المتأمل الحزين الذى كان يكتب فيه عبد الرحمن شكرى .. ولكن السمة المسيطرة على شعر هذه المرحلة كلها ، هو ما يمكن أن نسميه برود الشاعرية أو ضعف الحسّ الفنىّ .. فأنت إذْ تقرأ

---

(٨) الديوان ص ١٩٤ .

(٩) محمد مندور : الشعر المصرى بعد شوقى . ط . نهضة مصر بالفجالة حـ ١ ص ٨٢ .

(١٠) الديوان ص ٢٣٨ .

الشعر لا تحس بنشوة فنية أو دهشة شعورية أو حتى موسيقى ثرية .. إنه شعر مثل الماء القراح ، قد يكون نقيًا من الشوائب .. لكن لا طعم له ولا لون ولا رائحة ومن عجب أن هذا البرود الفني يتصل بكل شعر العقاد .. حتى شعر الحب ، الذي يتسم عند كل شاعر بخصوصية محددة وملامح متفردة ، لقد كان العقاد يغازل وهمًا فجاء تسييمه سرابًا ، وعلى هذا تبدو الحبيبة مغيبة الصورة والعواطف مصطنعة . يؤكد هذا أيضًا أننا نجد في شعره كثيرًا من (المقطوعات) الشعرية .. فنفسه الشعرى بصفة عامة قصير .. وسوف يتأكد هذا في شعره التالي حيث يندر عنده القصائد الطوال .

ومن عجب أن المازني في تقديمه للديوان يناصر زميله بتحيز واضح ، ويشيد به ؛ كأنما أتى بما عجزت عنه الأوائل ، وهذا ما يشي بقدر كبير من المجاملة والمغالطة... من ذلك قوله :

« بحرًا لا انتهاء .. هذا هو الذي بين أيدي القراء ، موج فوق موج ، ودفاع بعد دفاع ، ورغوة من ورائها رغوة ، وحركة في إثر حركة ، وأوادي مصطفقة ، ورياح مضطخبة ، ومدّ وجزر وضوضاء ، كأنما انطلقت شياطين الأرض تعوي ... »[١١] .

المرحلة الثانية

توقف العقاد عن الشعر كما توقف من قبل زميلاه شكري والمازني لأسباب ذاتية ، بعضها يرجع إلى ما حدث بينهم من خلافات شخصية ومعارك أدبية ، كذلك يبدو أن طموحهم الشعري كان أكبر من طاقتهم .. فقد كانوا ذوي صيحات جريئة في النقد وقدرات متواضعة في الأدب . ومن الطبيعي أن يقابل شعرهم بفتور لأكثر من سبب .. أهم تلك الأسباب هو ضعف الشعر نفسه الذي قدّموه ، لكنهم توهّموا أن المجتمع غير قادر على تقبّل ما أحدثوه من تجديد ، لذلك اعتزل شكري الشعر والحياة وحبس نفسه داخل أسوار ذاته ، كذلك طلّق المازني الشعر طلاقا بائنًا لا رجعة فيه وانصرف إلى الرواية والمقالة ، أما العقاد الذي كان شبه متفرّغ للشعر والنقد في المرحلة الأولى فقد اتّسعت دائرة اهتماماته الفكرية والسياسية في حزب الوفد ثم الحزب السعدي .. وعلى هذا فقد أصبح الشعر عنده أحد الاهتمامات الفرعية ، التي تصدر عن مجرد الرغبة العنيدة في مواصلة النظم وإثبات القدرة على الشاعرية ، لذلك فإن معظم شعر هذه المرحلة تكرار لما سبق أن عزف عليه من أوتار فنية .

وأول دواوين هذه المرحلة - « هدية الكروان » ١٩٣٣ - يقسّمه الشاعر إلى مجموعة من (الموضوعات) الشعرية مثل : الكروانيات - غزل ومناجاة - صفات وتأملات - قصائد متفرقة في التهنئة ، ثم قصيدة في هجاء الدهر وأخرى في رثاء حسين الحكيم . ويلاحظ أن هذا الديوان قد صدر في نفس السنة التي صدرت فيها رواية طه حسين « دعاة الكروان » !!

---

(١١) يراجع التقديم كاملًا ص ٣ - ٧ .

أما ديوان « عابر سبيل » فهو أكثر دواوين العقاد دلالة على إفلاسه الشعرى ، لأن الديوان تجريب بالنظم لفكرة مجرّدة راودت الشاعر،مؤداها أن كل موضوع فى الحياة صالح لأن يعبرّ عنه بالشعر ، مثل : بيت يتكلم - أمام قفص القرود - وجهات الدكاكين - الفنادق - قطار عابر - المصرف - كوّاء الثياب - سلع الدكاكين - الطريق فى الصباح - على سفح الهرم - عسكرى المرور ، الذى نظم فيه هذه المقطوعة :[١٢]

مستحكمٌ فى الراكبين ... ومَالُه أبدًا ركوبهْ
لهم المثوبةُ من بنا ... نِك حينَ تأمرُ والعقوبهْ
مُرْ .. ما بدا لك فى الطريق ... ورُضْ على مهلٍ شعوبه
أنا .. ثائرٌ أبدًا ما ... فى ثوْرتى أبدًا صعوبه
أنا راكب رِجْلى فلا ... أمرٌ علىَّ ولا ضريبه
وكذاك راكبُ رأسِه ... فى هذه الردنيا العَجيبه

أما ديوان « وحى الأربعين » الذى كتبه بعد أن وصل الأربعين من عمره ، وبعد أنْ طالت رحلته فى عالم الشعر والنقد ، ومع ذلك نراه فى المقدمة يعرّف الشعر هذا التعريف الغائم غير المحدد .. « إن من أراد أن يحصر الشعر فى تعريف محدود لكمن يريد أن يحصر الحياة نفسها فى تعريف محدود ، فالشاعر لا ينبغى أن يتقيّد إلا بمطلب واحد يطوى فيه جميع المطالب ، وهو « التعبير الجميل عن الشعور الصادق » . وكل ما دخل فى هذا الباب فهو شعر وإن كان مدحًا أو هجاءً أوْ وصفا للإبل والأطلال ، وكل ما خرج عن هذا الباب فليس بشعر وإن كان قصة أو وصف طبيعة أو مخترع حديث »[١٣] .

وعلى هذا نلاحظ أن هناك بونًا شاسعًا بين آراء العقاد فى النقد وبين قصائده الباردة فى الشعر ، وقد قسم العقاد الديوان إلى موضوعات مختلفة تبدأ : بتأملات فى الحياة - خواطر فى شئون الناس - قصص وأمثيل ، تضم بعض شعر مترجم لأساطير يونانية - وصف وتصوير - غزل ومناجاة ، وغزل العقاد كما يسميه « غزل فلسفى » . « لقد سميت إحدى قصائد هذا الديوان « بالغزل الفلسفى » وقد أضحكنى بعضهم حين سألنى متباصرا : وهل الغزل الفلسفى مما يصلح لاستهواء الحبيب ؟ فقلت له : ومن الذى زعم أننا لا نتغزّل إلا لاستهواء الحبيب ؟ .. »[١٤] .

هكذا يبدو العقاد مجادلاً صعب المراس على المستوى النظرى ، وشاعرًا محدود الطاقة على مستوى الإبداع . ومن عجب أنه يقرّ هذه الحقيقة - دون أن يعى - حينما قال[١٥]

---

(١٢) عباس العقاد : خمسة دواوين للعقاد ط . الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٧٣ ص ٣٩٢ .
(١٣) المصدر السابق ص ٣٩٨ .
(١٤) المصدر السابق ص ٣٩٩ .
(١٥) المصدر السابق ص ٣٠٩ .

مالى أفكّرُ فى الحياة ولا أرى ... شيئًا يقرُّ بها على التفكير
أنّى مضيتُ بها انقطعتُ كأننى ... شجرٌ على الدنيا بغير جُذُورِ

ويعلل العقاد سرّ تسميته للديوان الرابع « أعاصير مغرب » فيرى أنه « اسم صالح لجملة الشعر الذى احتوى هذا الديوان ، لأنه نُظم وعالم الدنيا مضطرب بأعاصيره ، وعالم النفس مضطرب بأعاصيره ، ومنه ما يشبه الأعاصير التى هزّت كيان الشيخ هاردى - (شاعر إنجليزى) - فتمنّ من أجلها ذبولاً فى القلب كذبول إهابه »[١٦] .

وليس من اليسير أن نصدّق مقولة العقاد .. فهو - مثل كل شعراء الرومانسية - لا يهمه العالم الخارجى بقدر ما يعنيه العالم الداخلى للشاعر . الحقيقة فيما يبدو أن (المغرب) ليس مغرب العالم أثناء الحرب العالمية الثانية ، وإنما للغروب الرمزى - هنا - علاقة بإحساس الشاعر بعجزه وضعفه ، بعد أن وصل إلى مشارف الستين من عمره . يؤكد ما قلناه أن الشعر لا يعبّر - فى الديوان - عن شىء مما أصاب العالم من كوارث الحرب .. وإنما استمر يعزف على نفس أوتاره السابقة ، خاصة الحب - ربما تشبثا بالحياة وتصابيًا فى الروح ..

« يافتاتى
ياحياتى لا تُراعى بعد هذا من فراقٍ أو فواتِ
قَدرُ الله كفيلٌ لك فى كاضٍ وآتِ
كُلّما فرقّ شملَيْنا دعانا فالتقَيْنا[١٧] . »

ونشير إلى أن هذه القصيدة - ولو أن مثيلها قليل - تعكس قدرًا من التجديد الموسيقى ، يمهد للشعر الجديد (الحرّ) فيما بعد .. فالقصيدة من بحر « الرمل » ، بيد أن العقاد يقدّمه بطريقة فيها قدر من الابتكار والتجزئ للوزن والتغيير للقافية ، إذ نجده فى كل مقطع يبدأ بتفعلية واحدة من « فاعلاتن » تتكرر مرتين ، يليهما ثلاثة أشطر فى كل منها ثلاث تفعيلات بقافية تتغيّر بتغيّر المقطع باستثناء الشطر الأخير، الذى يلزم قافية واحدة .

أما الديوان الأخير فهو « بعد الأعاصير » لأنه صدر بعد ديوان « أعاصير مغرب » .. وبالطبع لا يمكن أن ننتظر شيئًا جديدًا فيه ، فهو امتداد باهت لكل ما سار عليه الشاعر ، كما يلاحظ أن شعر المناسبات مستمرٌ فى المرحلة الثانية من شعره ، ووقع فيما كان يؤاخذ به شوقى !! .

---

(١٦) خمسة دواوين ص ٩١ .
(١٧) تراجع القصيدة كاملة ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

. كذلك ظهر قدر من الشعر فى هذه المرحلة عنده سماه شعر الفكاهة -بالطبع سبقه شوقى إلى هذا الموضوع - وهى مقطوعات قصيرة ومحدودة ، مثل هذه الأبيات التى يتنثر فيها على الحب السريع والشعر الجديد معًا :[١٨]

سألت : ما بالهم قد تركوا غزلَ العشّاق فى الشعر الجديدْ ؟
قلتُ : هل دامَ غرامٌ بينهم ريثما يفرغُ من نظم القصيدْ ؟
سنرى العهدَ الذى يروى لنا كلَّ عشرين غرامًا فى نشيد

٭ ٭ ٭

من خلال هذا العرض الموجز لكل إنتاج العقاد فى الشعر يتضح أنه من حيث فلسفة الفن يدور فى إطار الشعر الرومانسى ، الذى يرى أن وظيفة الشعر هى التعبير عن الذات الشاعرة ، لكن العقاد تجاوز التعبير عن ذاته كثيرًا إلى موضوعات الشعر الإحيائى وإلى اقتحال مواقف شعرية - كما فى ديوان عابر سبيل - لينظم فيها .. لكن تجربة العقاد فى مجملها متواضعة القيمة . لقد كان العقاد ناقدًا له دوره الكبير وآراؤه الذكية ، لكن شعره رغم الكثرة (قد يزيد من حيث الكم عن شعر حافظ ومحمد عبد المطلب وأحمد محرم .. وربما أحمد شوقى) ليس له أثر أو تأثير فى الوسط الثقافى أو عالم الشعر . والعقاد ليس بدعة فى هذا الفتور الفنى ، فزميلاه شكرى والمازنى أيضًا يشاركاه نفس المستوى والمصير ، فتراثهم « لا يكاد يكون له جمهور قارئ أو حضور يقظ فى إنتاج من جاء بعدهم من الشعراء .. لذلك فإن آراءهم فى النقد والتنظير الجمالى أروع بكثير من إسهاماتهم الشعرية المتواضعة »[١٩] .

هكذا لم يستطع أىٌّ من هؤلاء الشعراء المجددون الثلاثة شكرى - العقاد - المازنى ، أن يصل إلى ما وصل إليه شوقى من عبقرية أدبية ومن مكانة بين الجمهور ، فالعبقرية فى الفن لا تقوم على مجرد الوعى النظرى بصناعة الفن وأساليبه ، وإلا لكان علماء اللغة والبلاغة أشعر الناس .

رحم الله العقاد فقد كان شخصية كبيرة فى مجال الثقافة العربية المعاصرة ، ولا يعيبه أن يكون شاعرًا متواضع القامة ، إذ ليس شرطًا أن يكون العبقرى عبقريًا فى كل المجالات *

---

(١٨) خمسة دواوين ص ٣٦٥ .
(١٩) طه وادى : شعر ناجى .. الموقف والأداة ط . دار المعارف (الثانية) ١٩٨١ ص ٤٤ ، ٤٥ .
* قدم هذا البحث فى المؤتمر الخاص بالذكرى المئوية لمولد العقاد - فى كلية آداب قنا - أكتوبر ١٩٨٩ .